واعز من الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت
لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان
ينشق قلبه من هيبة هذا الخطاب لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع
دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله
انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي
ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب
بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب
قال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه
ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر
كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي
طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الآية قال علي رضه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون فانهم

فانهم لا يكذبونك الآية قال علي رضه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا
نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل
الله تعالى الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض
نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره لقوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده
بالنصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى
الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى
خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكريا
يا يحيى يا عيسى ولم يخاطبه هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المدثر يا ايها المزمل

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل
وعيشك وقيل وحياتك وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس

Copyright © King Saud University